(طبيعة النسيج العمراني بقصرعين ماضي)

زعيتري علي، -طالب دكتوراه-جامعة الجزائر-2-

ملخص:

تعد العمارة ظاهرة اجتماعية، حيث يوجد عاملان أساسيان في كل وضع معماري هما :متطلبات الجماعة وإرادة الفنان، باعتبار العمارة رمزًا اجتماعيا ولفهم الرمز يتطلب منا فهم التفاعل، ذلك" أن العملية التصميمية للمعماري هي نتاج احتياجات وظيفية ومبادئ جمالية ومعاني رمزية واجتماعية معينة، وبالتالي فالفعاليات الحياتية والممارسات الاجتماعية تبقى خلفية أساسية لتلك الصورة المادية للعملية التصميمية، وعليه فالعلاقات الاجتماعية ودور الفرد في الإنتاج المعماري ضمن الحدود التي ترسمها بصورة أو بأخرى تصورات الجماعة"، فالعمارة انعكاس لصورة ثقافية تمثل هذا المجتمع أو ذاك تجسدها الخبرة المهنية والقدرة الإبداعية للمعمار، كما أن ارتباط العمارة بالمجتمع يتضمن علاقتها بالدين والثقافة، فالدين منذ القدم كان رابطة اجتماعية وثيقة تجمع بين الناس والمعابد ومنها المساجد التي كانت أماكن للاجتماعات وممارسة الشعائر الجماعية ، وقد أثبت ذلك أب السوسيولوجيا أميل دوركايم بقوله :إن العمارة رمزا اجتماعيا ولفهم الرمز يتطلب منا فهم التفاعل مابين شكله المادي ومدلولاته الاعتبارية الجمعية والتي تمثل العمارة القصورية التقليدية نماذجها الأساسية.

الكلمات المفتاحية : العمارة . القصور . عين ماضي النسيج العمراني .

Abstract:

Architecture is a social phenomenon. There are two main factors in each architectural situation: the requirements of the community and the will of the artist, as architecture is a social symbol and understanding the symbol requires us to understand the interaction, "the design process of the architect is the product of functional needs and aesthetic principles and symbolic and social meanings, Life and social practices remain a basic background to that physical image of the design process. Therefore, social relations and the role of the individual in architectural production are within the boundaries that one or another of the group's perceptions depicts. "1 Architecture is a reflection of a cultural image representing this society This is reflected in the professional experience and creativity of the architecture, and the connection of architecture to the community includes its relationship to religion and culture. Religion has been a close social bond between people and temples, including mosques which were places of meetings and the practice of mass rituals. The father of Sociology, Emil Durkheim, Architecture is a social symbol and understanding of the symbol requires us to understand the interaction between its physical form and its corporate legal parameters, which represent the traditional short-lived architecture and its basic models.

تمهيد:

نشأت عمارة الطين في الصحراء الجزائرية وبالضبط في قصر عين ماضي منذ قديم الزمان، وجرب فيها أشكالاً عدة ليتجنب فيها حرارة وبرودة الشتاء، وحماية محارمه من الغرباء، باستعمال المواد المحلية، لذا نعتت بالعمارة التقليدية والعمارة الصحراوية وأحياناً ،العمارة الطينية، فجاءت ملائمة للبيئة التي نشأت فيها فوصفت بالعمارة البيئية، وقبل الحديث عن أهم المرافق العمرانية وطبيعة النسيج العمرانى لقصور الصحراوية لابد من تحديد بعض المفاهيم الأساسية .

تعريف القصر: يعرف القصر لغويا على انه ما شيد من المنازل وعلا ، وبصفة أخرى هو بناية فخمة واسعة 31 ولقد ورد ذكره أيضا في القرآن الكريم في قوله عز وجل " تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون من الجبال بيوتا "32 وفي آية أخرى " ويجعل لك قصورا "33 ، كما عرف القصر في الموسوعة الحرة ويكيلبيا " باللهجة العامية في المغرب العربي تنطق بتسكين القاف وفتح الصاد وتسكين الراء ، وهي بنايات محصنة نجدها في المغرب العربي وبجنوبه خصوصا ، تبنى القصور عموما على مرتفعات بمداخل الواحات من النخيل ومنابع المياه

وتتكون القصور من مطامير لتخزين القمح والأكل عموما وبيوت للسكان ، تشكلت هندسة القصور لتصد القبائل الرحل في الصحراء فكانت الحل المناسب لحماية سكان الواحات34.

القصور الصحراوية : تعنى كلمة القصور بالمناطق صحراوية مجموعة من المنازل المتلاصقة فيما بينها مشكلة منازل متراصة ، محاطة بأسوار تتخللها أبراج مراقبة35 ، كما يمكن تعريفها كتكتلات سكنية تقطنها مجموعة بشرية تنتمي إلى أصل عرقي واحد ا والى أصول عرقية مختلفة ، وتكون هذه التكتلات مجهزة بنظام دفاعي يتكون أساسا من سور محيط بتلك التجمعات تتخلله أبراج منيعة للمراقبة والدفاع36 .

.هذه القصور تتكون من مساكن نموذجية ، والتي يكون تاريخا مرتبط بوفرة الماء ومواد البناء بتلك المنطقة وكذا ملائمة الشروط المناخية والجيومورفولوجية، كما يعتبر هذا النمط من المساكن ذات هندسة معمارية نموذجية متجانسة والتي تستمد أصولها ومميزاتها من نظرة الإنسان لتأقلم مع محيطه37 .

.يمكن للقصر أن يضم مجموعة من القصور تعرف وتشتهر باسم واحد ، مثل قصر بودا بأدرار وقصر أولف الشرفاء وأولف العرب ، فقد كان الأول يشتمل على حوالي خمسة عشرا قصرا بينما الثاني من زهاء التسعة ، في حين يضم الثاني حوالي عشرة قصور38 .

خصائص التكوين المعماري للقصور الصحراوية : يتم اختيار موقع إنشاء القصور الصحراوية حسب عدة شروط ، شأنها شأن معظم المدن الإسلامية ، وقد لخص أبو ذر الشروط في قوله " أحسن مواقع المدن أن تجمع بين خمسة أشياء وهي النهر الجاري ، والمحراث الطيب، والمحطب القريب ، والسور الحصين ، والسلطان ا ذبه صلاح حالها ، وأمر بتسبلها وكف جبابرتها "39 ، ويستمد النسيج المعماري للقصور المعمارية مميزاته من العوامل المناخية للمناطق الصحراوية ، ومن التقاليد الحضارية والعوامل الاجتماعية السائدة بالمنطقة وجلها منبثقة من الدين الإسلامي الحنيف الذي يدعو إلى الحرمة والحشمة واحترام الجار .

.شيدت هذه القصور بشكل متراص تبدو وكأنها كتلة واحدة ، ولم يكن في ذلك السبب التقليل من أشعة الشمس فحسب بل تمثل هذه الظاهرة التضامن والتآزر الذي يربط سكان هذه القصور الصحراوية ببعضها .

. يتكون القصر عادة من مجموعات سكنية تحاط في معظم الأحيان بأسوار تتخللها أبراج حراسة ، وتنقسم هذه المجموعات السكنية إلى أحياء والتي كانت في بعض القصور منفصلة عن بعضها البعض بواسطة سور ، به باب يفتح أوقات السلم وتغلق عنه

- المنجد في اللغة والإعلام ، الطبعة الحادية والعشرين ، دار المشرق بيروت 1986 ، ص 633 . 31
- القران الكريم ، سورة الرحمان ، الآية 72 .32
- نفسه، الآية 10 . 33

34 . ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة www.ar.wikipedia.org

35 AIT EL HADJ (A), Kasbahs et ksours: Un Patrimoine En Ruine, Revue Bimestrielle, Janvier-Fevrier 2006, p.27

36- حملاوى على ، نماذج من القصور منطقة الأغواط ،دراسة تاريخية وأثرية ،طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، وحدة الرغاية ، الجزائر ، 2006

37 - Aba SADKI, Urbaniste-Environnementaliste, Urbanisme Et Dégradation De l'Habitat Traditionnel Des Oasis Du Sud-Est Marocain, Magazine d'Architecture en Ligne, www.Achi-Mag.com, 2009.

38 Cnt.H.Bissuel, Le Sahara français , conférence sur les questions sahariennes faite le 21 et 31 Mars1891, Alger Adolphe Jourdan,1891, pp.33 et 46.

39 - عثمان عبد الستار ، المدينة الإسلامية ،دار الآفاق العربية للنشر ،الطبعة الأولى ،1999 ، ص 96 .

عندما يشتعل نار الفتنة وتشتد العداوة بين ساكنيها ، مثلما كان الحال في كل من قصر توبالة والقصر القديم بالأغواط والقصر القديم بورقلة ، ويفسر هذا التقسيم للإحياء الانتماء القبلي لكل مجموعة مثلما عرف في أغلب المدن الإسلامية ، ويحتوى كل قصر على مسجد جامع ، وهو ما يعرف في قصورنا الصحراوية بالجامع العتيق ، بحيث يعتبر الجامع من بين التكوينات الأساسية بالمدن الإسلامية40 ، ويمثل محورا رئيسيا في تخطيطها واختلفت وظائفه الدينية والعلمية والسياسية أن يكون موقعه وسط القصر ليكون قريبا من كل موضع فيه .

ترتبط الأحياء ببعضها البعض بواسطة مسالك وممرات والتي يفضل توجيهها في المناطق الحارة من الشمال إلى الجنوب ، لتفادى تعرضها وتعرض مداخل البيوت إلى أشعة الشمس لمدة طويلة ، بالإضافة إلى هذا التوجيه يساعد على استقبال الرياح الشمالية المحملة نوعا ما بالرطوبة مما يؤدى إلى التخفيف من شدة الحرارة ، وقد كان لكل شارع او زقاق وظيفته الخاصة ، ولذلك فهي تختلف في مقاساتها ولكن شريطة أن تتلاءم وأقصى ارتفاع

وأضخم شيء يمر من خلالها41 ، ومن ناحية التصميم فقد كانت الشوارع في القصور الصحراوية كثيرة التعرجات والانكسارات وذلك لتوفير لظل وكسر حركة الهواء المحملة بالرمال ، وكانت الشوارع الضيقة تسقف لغرض توفير الظل والهواء البارد لمداخل المنازل خاصة في الصيف.

وتنقسم الشوارع إلى ثلاثة أنواع حسب دورها وأهميتها :

1. الشوارع الرئيسية أو ما تعرف لدى الفقهاء بالشوارع السابلة أو شوارع العامة والتي تعرف محليا بالشوارع في كثير من القصور بالحافة .

2 . الشوارع الثانوية أو الطرق الفرعية وتعرف بالسكة النافذة ، أما محليا وفى معظم القصور تعرف بالدرب .

3 . الدروب أو الأزقة غير النافذة أو ما يعرف محليا بالدروب أو بالسقيفة .

. أما الساحة أو الرحبة فهي تلعب هي الأخرى دورا لا يستهان به داخل القصر ، سواء من ناحية العمرانية أو الاجتماعية ، فهي تعتبر نقطة التقاء الأزقة42 .

معايير البناء بالقصور الصحراوية : تتميز البيئة الطبيعية بالمناطق الصحراوية بملامح خاصة تكتسب فيها الخصائص المحلية لكل موقع ، بحيث يظهر تأثير الظروف المناخية على عمارة القصور الصحراوية يتضح ذلك في الأشكال الآتية :

. شبكة طرق وساحات ضيقة ومتعرجة وأجزاء منها مغطاة .

. ارتفاع جدران السطح لاستخدامه لنوم والأنشطة الاجتماعية .

. فناء داخلي منتظم لدرجة الحرارة في ساعات الليل والنهار

. استخدام الطوب والحجارة ، بأسماك كبيرة للعزل الحراري .

. بناء الأسقف السميكة من الجريد وجذوع النخيل وأشجار أخرى43 .

. طلاء الأسطح الخارجية بالمواد الطبيعية من النسبة لتقليل امتصاص المحيط الطبيعي للمنطقة .

تحديد الموقع :

الموقع الإقليمي : تقع بلدية عين ماضي بالأغواط ، تبعد عن المقر ألولائي بحوالي 75 كلم غربا ، ويبعد مقر الولاية عن العاصمة بحوالي 400 كلم جنوبا ، يحدها من الشمال ولاية تيارت ومن الغرب والجنوب الغربي ولاية البيض ، ومن الشرق والشمال الشرقي ولاية الجلفة ومن الجنوب ولاية غرداية ، وهي بهذا التحديد تعتبر من الولايات الواقعة في الحدود الشمالية للصحراء .

. الموقع الإداري :

G.Marçais, La conception des villes dans l'Islam, Revue d'Alger, t2, Alger 1945, p.526.40

41 – حملاوي علي ، المرجع السابق ، ص 14 .

– نفسه، ص 17 . 42

فجال خالد سليم ، العمارة والبيئة فى المناطق الصحراوية ،الدار الثقافية للنشر ،مصر ، 2002 ،ص 33 .43

تقع بلدية عين ماضي غرب الولاية يحدها شمالا بلدية تاجموت وبلدية واد مزي ، ومن الشرق بلديتي الحويطة والخنق ، ومن الجنوب الشرقي بلدية حاسي الرمل ومن الجنوب بلديتي الظاية (ولاية غرداية)، ومن الجنوب الغربي بلدية بريزينة (ولاية البيض) ، ومن الغرب تاجرونة ، ومن الشمال الشرقي بلدية الغيشة44 .

.تتربع بلدية عين ماضي على مساحة 4075 كلم وعلى ارتفاع أكثر من 600 م عن سطح البحر ، ويبلغ تعداد سكانها 16351 نسمة حسب إحصاء 452018 .

أصل تسمية عين ماضي: يرجع الباحثون أن تسمية عين ماضي تعود إلى مؤسس القصر ماضي ابن يقرب46 احد أعيان قبيلة قرة التي وفدت إلى المنطقة قادمة إليها من طرابلس وقابس وشرقي افريقية47 ، بينما تذكر الروايات الشفوية بالمنطقة أن تسمية القصر تعود للعين الوحيدة التي تزود القصر بالماء الموجودة بجبل المركب . بينما يرى بعض الباحثين أن كلمة عين دلالة على ما عرف القصر من ازدهار فكرى ، حيث كان يفد إليه الناس ليغترفو من علومه48

عرف قصر عين ماضي قديما وقد اشتهر سكانه بالعلم والفقه49

لقد اكتسب شهرة اكبر بعد تأسيس الزاوية التيجانية ، حيث أصبحت عين ماضي العاصمة الروحية لأتباع الزاوية التيجانية .

التضاريس والشروط البنيوية : تتكون من سلاسل جبلية من المنحدرات الجنوبية لجبال عمور ، أما الارتفاع فما بين 1450 متر (جبل النية) و 1580 م (جبل المكب) مكونة حدود طبيعية شمال غربي البلدية50 .

الهضاب : تدخل ضمن الهضاب الشبه الصحراوية والصحراوية وتختلف الانحدارات مابين 0% و3 % نحو الجنوب ، يكون ارتفاعها بين 100 متر و 800 متر من الشمال إلى الجنوب .

البيئة الطبيعية للمنطقة :

المناخ : يعتبر المناخ من العوامل الرئيسية المساعدة على تأسيس المدن والقصور وفى نموها وتطورها، كما يقوم بدور أساسي في التحكم في مكونات المدنية مثل اتجاهات الشوارع والأزقة والبيوت وحتى في اختيار مواد البناء .

يتميز مناخ المنطقة بمناخ صحراوي ، كما يتميز بشدة البرودة ورطوبة نسبية خلال فصل الخريف والشتاء ، وشدة الحرارة والجفاف صيفا ، كما يتميز بوجود الرياح الرملية ، ومع أن الأمطار نادرة إلا أنها تحدث سيولا بعض أحيانا 51.

.**الحرارة :** إن الحرارة في هذه المنطقة تتغير حسب تغير الفصول الأربعة ، فهي جد مرتفعة في الصيف إذ تصل إلى 43 درجة مئوية في شهري جويلية وأوت ومنخفضة في الشتاء حيث تنزل أحيانا دون الصفر .

الأمطار: تتميز المنطقة بندرة الأمطار وعدم انتظامها ، فهي تتراوح مابين 100 و200 ملم سنويا تتوزع على ستة وثلاثيين يوما ، ورغم

---

44 P.D.A.U (Plan Directeur d'Amenagement et d'Urbanisme), p 6.

45 Ibid, p 9.

46 الجزائري تحفة الزائر ، ص 304. ويذكر البكري : أن ماضي ابن مقرب أمير بني قرة ذهب إلى الصحراء بعد سنة 420 ه عن مدينة تسمى " واح صبرو" وبقي يتجول في الصحراء لمدة طويلة حتى كاد زاده ينفذ فخاف وكد راجعا فنزل ذات ليلة على ربوة في الأرض بتلك الصحارى فوجد بها بعض من أصحابه انظر البكري (أبو عبد الله)، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، تحقيق ، ماك فوكان دو سلاين ، باريس ، 1965 ، النص العربي ، ص 16 .

47 المشرقي ، بهجة الناظر، ص 209 ،ويرى بعض الباحثين انه هو الذي صممها أيام العبيديين ، حرب أديب ،التاريخ العسكري والادارى للأمير عبد القادر الجزائري 1808 - 1847 ، ج 2 ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1983 ،ص 24 ،الهامش 4 .

48 يذكر الدرعي فى رحلته ا ناهلها بانهم كلهم طلبة يقرؤون خليل كما ذكر بعض أعلامهم أكبرهم سيدي احمد الدهصاء، مخطوط بالمكتبة الوطنية رقم 1954 ، ص ، 19 .

49 تمكن الجنرال بيليسيى من الاستلاء عليها بعد معارك طاحنة خاضها الأهالي ، وسقط فيها رجال كثير من بيليسى ، منهم الجنرال بوسكران والعقيد موند .

50 G.Marçais U . Op.Cit, p 22 .

51 P.D.A.U . Op.Cit, p 6 .

ندرها إلا أنها أحيانا تكون قويا وتسبب سيولا .

الرياح : رياح الشتاء باردة جدا وخاصتا عندما تسقط الثلوج في جبل عمور ، وتكون الرياح شمالية غربية ، رياح الصيف تكون قوية وحارة وتأتى من الشمال الشرقي أما الرياح الجنوبية فتعصف شهرين في السنة ، وغالبا ما تكون محملتا بالرمل خاصتا في شهر أفريل و ماي .

الموارد المائية : رغم قلة الأمطار وعدم انتظامها فان المنطقة تمتاز بوفرة ماءها52 ، فهي عبارة عن شبكة مياه سطحية تبدأ من سفح جبل عمور شمالا ، تغذى مسارات المياه الغير منتظمة والذي يصب في واد مخابط وهو احد رواد واد مزي53.

لمحة تاريخية عن قصر عين ماضي : يرى بعض الباحثين أن تأسيس قصر عين ماضي يرتبط ارتباطا وثيقا بتسميته المركبة من كلمتين هما : عين وماضي ، فبنسبة للكلمة الأولى " عين " يعتقد هؤلاء أنها تعود للعين الواقعة شمال المدينة على سفح جبل المركب ، والتي كانت تمثل المورد الرئيسي والوحيد للسكان آنذاك، وتضيف الروايات الشفوية أن هذه العين تم اكتشافها من قبل احد الرعاة ، فاخبر قبيلته بذلك ، ومن هنا بدا التفكير بتشييد القصر . بينما يرى فريق آخر أن كلمة "عين" دلالة على ما عرفه القصر من ازدهار فكرى، حيث كان يفد اله الناس من جهات مختلفة ليغترفوا من علومه54. أما كلمة ماضي فيعتقد أنها نسبة إلى ماضي ابن مقرب،55 أحد أعيان قبيلة قرة التي وفدت إلى المنطقة قادمة إليها من طرابلس وقابس ، وشرقي إفريقيا ، ويقال انه هو من حفر الين حوالي سنة 1050 م،ولم يستقر مما يجعل هذه الفترة غابرة في تاريخ القصر56 .

وتتداول المراجع ا ناول من عمر المنطقة كان احد المرابطين الآتيين من المغرب والملقب ب " سيدي محمد "، بحيث اشترى الأرض من ولاد يعقوب الزغارة من اجل إقامة خلوة له، بحيث عاش هناك لبعض الوقت وحده ، ولكن رحيله إلى المغرب ترك فراغا بين تلاميذه، فالتحقوا به من اجل العيش معه57. ولكن الروايات تقول أن " سيدي محمد " أقام خلوته على بعد 2 كلم من القصر أين توجد عين تسمى بعين " سيدي معين "58، ولكن هذه الجماعات التحقت بسكان القصر من اجل الاستقرار معهم ويرجع انتقالهم لسببين هما :

. وفرة الماء بالعين الموجودة بقصر عين ماضي أكثر من عيين "سيدي معيين" ، فمن المعروف أن الناس قديما كانوا يسكنون ويتجمعون حول أماكن تواجد المياه .

.لضرورة اجتماعية وأمنية وذلك من اجل تكبير المدينة والحفاظ على امن وسلامة المجتمع.

ثم وفد على القصر فرقتان : البدو أولاد صالح والتجاجنة ، وهم أول من عمر بالقصر بحيث بنو المسجد العتيق ومجموعة من المنازل .

كانت سمعة القصر معروفة منذ القرنين 12.11 هـ / 17 م.18 م بفضل الحركة العلمية التي شهدها آنذاك، وكان بها عدد كبير من الفقهاء من أشهرهم سيدي زروقي وابنه سيدي أبو القاسم وسيدي احمد الدهصاء59 .

ولكن عين ماضي لمن تنل شهرتا كبيرة تعدت الوطن العربي إلا بعد ظهور احد الشخصيات الدينية التي غيرت مسارها ،وهو أبو

---

52 L.Ville, " Notice sur les recherches d'eau potable dans le sud de la province d'Alger ", Rev.afr, n°3, 1858-1859, p.345.

53 – ينبع واد مزي من جبال عمور ويسير بالتوازي مع البحر الأبيض المتوسط ، وأثناء سيره يمر بقصر تاجموت حيث تسقى به بساتينه ثم يضيق مجراه ، بسبب وجود جبل الحويطة في الجنوب وجبل الأزرق في الشمال ،بعها يختفي ليظهر من جديد بموقع الرشق ، ثم يضيق ثانية نتيجة ظهور جبل أم جلواج في الجنوب وجبل الميلوك في الشمال ،وبعد أن يعبر الفتحة الواقعة بين جبل رأس العيون وجبل الدخلة ، يمر جبل تزقرارين متجها من الغرب إلى الشرق حيث يمر في طريقه بقصر العسافية وقصر الحيران .

54. حملاوي على ، المرجع السابق ، ص 56

55. محمد بن عبد القادر الجزائري ، تحفة الزائر فى تاريخ الجزائر والامير عبد القادر ، بيروت ، ص . 304

56 نفسه ، ص . 306 .

57."الشيخ الحالى لطريقة التجانية " الشيخ محمد لحبيب التجانى

58 C.Trumelet, Histoire De l'Insurrection Dans Le Sud, Alger,1861, pp.93-94-95

59 الدرعى ، الرحلة ، مخطوط بالمكتبة الوطنية ، رقم 1954 ، ص 19 .

العباس احمد التيجاني (1150هـ / 1737 م .1230 هـ / 1814 م)، مؤسس الطريقة التجانية .

.فضاءات قصر عين ماضي ووظائفها الاجتماعية :

لقصر عين ماضي فضاءات وأشكال معمارية متميزة كباقي المدن الصحراوية، هذه الفضاءات منسجمة إلى حد بعيد مع وظائف و بنية المجتمع الواحي القائم على التكافل الاجتماعي ومكيفة مع الظروف الطبيعية، شبيهة في تصميمها المعماري مع المدينة الإسلامية والمدينة العتيقة، وبالتالي جاءت وفية لمناخها ومنسجمة مع وظائفها الاجتماعية فنعتت بالمدينة البيئية والمدينة الوظيفية، لان سماتها المعمارية وفضاءاتها جاءت لتؤدي وظائف اجتماعية60، وتتشكل من:

أولا :الفضاء المدنس:

المساكن : تلتف المساكن في كل المدن الصحراوية ملتحمة ومتشابكة حول بعضها البعض، متجمعة داخل سور، وهي متشابهة في ما بينها مساحتها لا تتجاوز 90 م كأقصى تقدير، وقد تتجمع داخل السور في شكل تراكمي، متشابكة ومتلاصقة مع بعضها البعض كخلايا النحل، مما يجعلها صعبة الوصف والدراسة ما لم توصف في إطارها العام وهو الحصن أو القصبة61 .ويلاحظ أن شكل الدور وشكل المنازل لم يدخل عليه أي تغيير طوال القرون الحالية، فهو في صورته الأولى امتدادا لما كان عليه في الماضي.

الأبراج : سمة معمارية بارزة اتسمت بها القصور الصحراوية ولازالت آثارها حتى اليوم، وهي عبارة عن مبنى ذو شكل هرمي واسع في القاعدة ويضيق في الأعلى يقع في زوايا القصر، يحتوي على سلالم بداخله و مزاغل لمراقبة العدو، وفي أسفلها مخازن لتخزين المحاصيل الزراعية والأملاك الجماعية. وأما وظيفتها الأساسية تظهر من خلال الشكل المعماري الذي أخذته وهي الدفاع عن القصر ومراقبة الغزاة من بعيد حتى يتسنى الاستعداد له والاستنفار لملاقاته ويتناوب على الحراسة فيها الرجال ليلا ونهارا لا يفارقونها، وقيل لنا أن النساء هن كذلك كانوا يقمن المهمة الدفاعية فيه هذا الفضاء حيث كن يقمن بصب الماء الساخن من الأعلى على العدو.

السور : عرفت المدينة القديمة بهذه السمة المعمارية وأخذت المدينة الصحراوية (القصور) حصة الأسد منها لعدم وجود جبال تحصينية بالمنطقة، والسور عبارة عن جدار عالي جداً ذو شكل دائري أو تربيعي أو مستطيل حسب نمط القصر والمدة الزمنية التي شيد فيها، يحيط بالمجمعات السكنية علوه يصل إلى ستة أمتار وقد يزيد عن ذلك، أما سمكه اليوم فليس بالشكل الذي تصفه لنا بعض كتب التاريخ، بكون عرضه يصل إلى مترين (2م) مما يسمح بمرور فارسين عليه جنبا بجنب62، وقد كان بقصر **عين ماضي** هذا النوع من الأسوار، وقد كانت تمر فوقها الأحصنة ليلا ونهارا وذلك للحراسة وتتخللها الأبراج .وغلى جانب الوظيفة الدفاعية التي كان يؤديها هناك وظيفة اجتماعية تتمثل في لم شمل العائلات والديار في مجال معين يوحي بالتضامن والعصبية القصورية ضد كل غريب ويوحي كذلك بما ترسخ في خيال الرجل الصحراوي من طبيعية العدوانية إقصاء كل غريب عن القصر، والتعصب للجماعة في كل الأحوال في ذلك الوسط الذي رسمه له الواقع الايكولوجي.

لذلك نجد كل قصر من القصور الصحراوية يحيط بها سور والسكن داخل الأسوار يعني الحماية والولاء لجماعة القصورية، أما السكن خارجه يعني المخاطرة والفناء63

الرحبة : هي عبارة عن ساحة عمومية تتموضع وسط القصر وهي بمثابة مركز حيوي ومجال عمومي حر، تحيط به البنايات المجاورة غير مغطى وتنظم مجالاته المتعددة بصفتها تؤدي إليها جميع الممرات(الأزقة -القصر) وهي بمثابة الموزع الحركي والمجالي للقصر، تقام فيها مختلف الحفلات والأعياد القصورية الموسمية، ومرتع للأطفال وا لشباب ومكان لتلاقيهم اليومي لاسيما في الفترة الليلية،

60 نظير أبو عبيد، **المشهد المكاني كمفهوم وسلوك بيئي في تحليل التواصل ما بين العمارة والمجتمع**، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 248 ، لبنان، 1999 ، ص148

. 61 نصير ابن عبيد ، المرجع السابق ، ص 60 .

62 حسين عبد الحميد احمد رشوان، **المدينة دراسة في علم الاجتماع الحضري**، المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية، الطبعة السادسة ، 1998 ،ص168

63 NADIR MAROUF، **l'imaginaire historiographique entre conjectures et realites** ، ou le probleme des sources , à proposde l'établissement humain en milieu saharien. Insaniyat, revue algéd'anthropologie et de sciences sociales N°2 AUTOMNE -1997، P159.

وفي السابق كانت مكان التجهيز القوافل التجارية المستعدة للرحيل، ومحطة نزولها عند مجيئها .واليوم هي فضاء للعب بالنسبة للأطفال، تؤدي دور التنشئة في غياب فضاءات أخرى خاصة بهم64.

الأزقة : هي عبارة عن ممرات منعرجه ومسقوفة تؤدي إلى مختلف أحياء وفضاءات القصر المختلفة كالمسجد والساحة العمومية، وهي عبارة عن مجالات خطية عمومية تلعب دور المنظم و المؤدي للمساكن وهو نوعان أزقة عمومية نافذة وأزقة نصف عمومية غير نافذة مؤدية إلى الديار المنفتح عليها فقط تتخللها ثقوب لإضاءتها وإرشاد المارة، اتساعها لا يزيد عن متر ونصف مما يسمح بمرور حمارين ومحملين في آن واحد، كما أن لتغطية الزقاق وظيفة اجتماعية وهي مرور النسوة من بيت لأخر دون تغطية أو حجاب، كما انه كان يستعمل قديما للنوم والراحة من طرف الرجال أيام الحر الشديد ومن الأعلى يتقاسم سطحه المسكنين المجاورين اللذان يحصران هذا الحيز .والزقاق شبيهة شكلا وأداء بالساباطات الموجودة في القرى المغربية القديمة، تلك التي بالقرى المنتشرة على طوال وادي ضرعة

جنوبي المغرب، فكانت للسباطات وظيفة مناخية واجتماعية وبنائية تلائم أهل المنطقة ونظرا لاعتماد السكان على النخيل و التمور في معاشهم ولان التمر يكثر عليه الذباب لحلاوته، بالإضافة إلى حرارة المنطقة وجفافها فقد أكثر سكان تلك القرى من استخدام السباطات للتغلب على الذباب وتلطيف الجو في شوارعهم فقد كان معظم شوارع القرى مغطاة بالسباطات، ونفس الشيء بالنسبة للأزقة، فهي الأماكن الأكثر استخداما في الشوارع لأنها مظللة فيكثر فيها لعب الأطفال وتجمعاتهم مثلا، هذا بالإضافة إلى الفوائد المناخية لأن الأزقة تقلل من المسطحات المعرضة لأشعة الشمس كما أنها توسعة للناس إذا ضاقت عليهم منازلهم وما إلى ذلك من فوائد لصالح العام، وللأزقة وظيفة بنائية لأنها تربط المباني ببعضها البعض لتكون كتلة واحدة فيسند كل مبنى الأخر. هذه الفوائد المناخية والاجتماعية لم تأت من فكر المهندسين وأنظمة المخططين، ولكن من تجارب أولئك الذين يعاصرون ويعانون من البيئة ويوجدون الحلول لها فمن تراكم تجاربهم تبلورت الأعراف65.

الأبواب : هي كذلك عنصر هام من حيث أنها منافذ المدينة ونوافذها كما أنها تشكل علاوة على وظيفتها التحصينية نقطة وصل بين خارج وداخل المدينة، وحدود فاصلة بين قصبة وأخرى، كما أن وجودها ومكان تموضعها يبين الحدود بين المجالين العام والخاص في المساكن66 .وقد كانت تغلق ليلا وتفتح نهارا في الحقب الأولى قبل استتباب الأمن وحتى منتصف الستينيات من القرن العشرين حيث استمرت في أداء وظيفتها لغرض تنظيمي، فكانت تفتح في الصباح ثم تغلق بعد الظهر، ثم يعاد فتحها بعد صلاة العصر وتغلق بعد صلاة العشاء حتى لا يخرج بعض الأفراد للواحة للسرقة منها ولذا يتم فتحها إلا في الأوقات التي يكون كل الأفراد في ملكياتهم .

الواحة : تعتبر الواحة كذلك فضاء للعلاقات الاجتماعية ولا يقتصر دورها على الوظيفة الاقتصادية، تتشكل من مجموع الملكيات الزراعية العائلات والأسر تقع بالقرب من القصر .موقعها يأخذ في الحسبان الجانب الطبوغرافي للأرض، وهو الموقع المنخفض عن القصر

حيث يتسنى سير الماء الجاري من الفقارة والمار بالقصر .الواحة تشكل جزء من بنية القصر العامة المرفولوجية والاقتصادية لاستكماله وبنائه المعماري بفضل شجرة النخيل التي تمده بسعفها وجذوعها بصفتها مواد بناء أساسية .و مورد أساسي بفضل مزروعاتها ومصدر غذائي له67.

تمثل الواحة فضاء اقتصادي وإنتاجي لسكان القصور خدمة الأرض التي انطوت على عرف اجتماعي اقتصادي هو "الخماسة " و"الخراسة "الذي كان له الأثر في صياغة نظام اجتماعي قائم على تراتبية هرمية.

64بو علالة جلول، **قصر تمنطيط دراسة أثرية ومعمارية** ، مذكرة تخرج لنيل شهادة مهندس دولة في العمارة، قسم العمارة والآثار، الجزائر، سنة 2005 ص ، 26 .

65 بو علالة جلول، **قصر تمنطيط دراسة أثرية ومعمارية، المرجع السابق ، ص 110 .**

66 حسني عبد الحفيظ، **تخطيط المدن وعماراتها في الحضارة الإسلامية**، المدينة العربية، العدد . 113 مارس، أبريل 2003 ، ص41 .

67 محمد بن أمبارك الطيب، **القول البسيط في أخبار تمنطيط)** مخطوط(، تحقيق فرج محمود فرج، ص12

أما الملكية الزراعية الخاصة للعائلات وحدة إنتاج غير قابلة للانقسام عموما تزيد من تضامن أفراد العائلة مادام أن انقسام العائلة الكبيرة إلى أسر نووية هو ناتج عن تفكيكها إلى ملكيات أسرية على الأخوة أو الأولاد بعد موت الأب أو الجد الأكبر، أو عاقبة صراع بينهم، تمثل وريد أساسي واقتصادي ومع استتباب الأمن في القصور الصحراوية فأصبح النشاط الزراعي نشاط أساسي فتوسعت الواحات وأصبحت إلى درجة أن تشترك بعض القصور في واحة واحدة بفضل اتساعها، وبدت الواحة فضاء أساسي ومكمل للقصر فلا وجود لقصر بدون واحة والعكس صحيح68.

تتشكل الواحة من ثلاث وحدات زراعية متدرجة منخفضة عن القصر والذي يدخل معها في إطار تبادلات، فهي مستودع نفاياته ومصدر أساسي لمواد صناعته الحرفية لتأثيث بيته البسيط.

للواحة وظيفة اجتماعية فهي ليست الواحة فضاء اقتصادي إنتاجي فقط بل تؤدي كذلك دور اجتماعي لاسيما في الفترة الراهنة بعد تراجع محاصيلها الزراعية وإهمالها فأصبحت مركز للاستجمام.

وقد شهدت معظم الواحات القصورية هجرات بشرية بعد موجات الجفاف التي اجتاحت معظم القصور الصحراوية، وتحوي الواحة على منشآت الري التقليدية(السواقي القصرية) ومجاري المياه الأرضية الآتية من الفقارة وكذا الأحواض الخاصة بتخزين المياه.

ثانيا .الفضاء المقدس:

المسجد: يعتبر أهم عنصر في مدينة عين ماضي فهو يمثل مركز المدينة وما يعكس هذه الأهمية هو حجمه وموقعه ومأذنته الشامخة ذات الشكل الهرمي، يمثل المسجد المركز الديني والروحي في القصر، يقتضي اختيار المكان الملائم له الذي يراعي في توسطه في قلب القصر وإمكانية جعله ضمن ميدانه ويكون محور تتجه إليه شوارع القرية في شكله المعماري وبرج منارته العالية، لذلك نجد وقوع المسجد في وسط القرية تتطلبها ضرورتان هما :الضرورة الاجتماعية والضرورة التنظيمية، فالضرورة الاجتماعية تعني أهمية بداية السكان نحو مركز القرية لعلو منارته ا لتي ترشد المتوهمين في الصحراء الشاسعة نحو مركز العمران، أما الضرورة التنظيمية فهي افتقار سكان القصر في انتظام حياتهم الروحية إليه.

الأضرحة: يجمع معظم الباحثين في مجال الانثروبولوجيا الدينية ،القدماء منهم والمحدثون،على أن المقدس الذي يشكل جوهر الاعتقاد الديني هو في مظهراته الواقعية مكان وزمان وإنسان، والأضرحة أمكنة مقدسة،Sacr لأنها قبور لأناس مقدسين يملكون قدرات خارقة من أجل التوسط عند الله لأجل قضاء حاجات وإبعاد الكوارث والأهوال، تؤدي هذه المزارات الدينية وظيفة الترياق ضد القلق والتوتر وتمنحهم الطمأنينة المنشودة، وهذا الاعتقاد هو جزء من الثقافة الدينية السائدة والمنسجمة والمتوافقة مع التنظيم الاجتماعي ومع الحس المشترك.

لذلك يحيط بقصر عين ماضي نسيج من الأضرحة البيضاء اللون الشامخة العلو69 وخاصة فى قصر كردان كما توجد كذلك وبشكل اقل وتختلف عن الأولى في أماكن مختلف القصر فقد وجدت في المقابر القديمة وفي الحقول وعلى حافة الطريق وكذا منها ما هو ملحق بالمساجد، شيدت هذه الأضرحة من المواد المحلية المعدة للبناء في المنطقة والتي هي الطين واللبن وطليت بالجير، و يعاد طلاءها مرة في كل سنة بالجير مما يزيد لونها بياضا ناصعا وجدرانها قوة وصلابة إلا أن سقوفها تخلى كلية من خشب النخيل أو مصدر نباتي أخر بل تغطى بالحجر المصفح بطريقة هرمية إلى أن تغلق في الأعلى بقبة70

المقبرة : تتموضع خارج المدينة وتدعى"**لمدينة** "بجزم الميم، وهي تشكل مدينة حقيقية للأموات إذ تمتد على مساحة شاسعة، وقد

68 محمد بن أمبارك الطيب ، المرجع السابق، ص 15 .

69 المختار الهراس وإدريس بن سعيد، **التحولات الاجتماعية بالبوادي المغربية**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة ندوات ومناظرات رقم2 الطبعة الأولى، 2002 ، الرباط، ص 154 .

70 فالأضرحة من العمائر التي اعتني بتشييدها القصوريين نتيجة تقديس الأولياء حتى بعد موتهم وهي ظاهرة قديمة في منطقة المغرب الإسلامي ولاسيما في منطقة الصحراء .، فكانت الأضرحة مزارا معتادا يتوجه إليها الناس للدعاء والتوسل ويقومون بطليها بالجير بصفة منتظمة كل عام في ذكرى وفاة الولي المضروح، كما يرقصون ويفرحون بذلك قربها بشتى أنواع الرقص ويمدحون المدائح الدينية في جو مملوء بالفرحة والبهجة والمهابة والتبجيل في يوم معلوم من السنة يسمى يوم "الزيارة ."

تحتوي على مصلى جنائزي وبها أضرحة، وتوجد بالقصور ذات الحجم الديمغرافي الكبير عدة مقابر.
مقبرة خاصة بفئة اجتماعية معينة أو أهل، ولا ترضى أن يدفن فيها احد غير موتاها ما لم يشترك معها في نفس الجد أو الفئة الاجتماعية في عالم الأحياء، حيث يستمر ذلك التميز المجالي حتى في عالم الأموات تأكيدا للهوية والذات.
إن " تموضع المقابر خارج القصر لا يعني الإقصاء، بل يعبر عن التبجيل والاحترام، المقبرة مغذي روحي لأفراد القصر حيث أن الساكن القصوري لما يمر بجانبها يدرك أن مكانه هناك، والأضرحة اللذين تضمهم المقبرة كمعالم روحية تحمي التجمع البشري، فالأولياء هم
دائما في حالة يقظة .كما أن أضرحتهم المقدسة تمثل ملتقى لعالمين، هما العالم الدنيوي والعالم الأخروي71
نشأت عمارة الطين في الصحراء الجزائرية وجرب فيها أشكالاً عدة ليتجنب فيها حرارة وبرودة الشتاء، وحماية محارمه من الغرباء، باستعمال المواد المحلية، لذا نعتت بالعمارة التقليدية والعمارة الصحراوية وأحياناً ،العمارة الطينية، فجاءت ملائمة للبيئة التي نشأت فيها لذا نعتت أيضا بالعمارة البيئية، إلا أن أهم ما يميزها إلى جانب هذه الأوصاف، هي عمارة وظيفية، فالوظيفية دائما هي المحددة للشكل فيها ، واختلاف أنماطها عبر الزمن من عمارة بربرية إلى عمارة سودانية ثم عربية أسلامية كان نتاج اختلاف الوظائف المتوخاة منها والتي تتغير من مجتمع إلى آخر، لذا جاءت هذه العمارة مختلفة من زمن إلى آخر رغم أن البيئة التي نشأت فيها هي بيئة صحراوية، أي تربة عين ماضي، مما يثبت إن العمارة ليست هي نتاج البيئة وحدها، بل هي نتاج تفاعل بين هذا وذاك، ليست العمارة نتاج العامل المكاني فقط بل هي نتاج البعد الزمني، وما يدخل ضمنه من عوامل سياسية واقتصادية كوجود الأمن من عدمه وشكل الأسرة وطبيعة البناء الاجتماعي والنظرة المتعلقة للمرأة والغرباء ونظرت ذلك المجتمع لعالم الغيب والأرواح كلها لها دور أساسي في تحديد شكل ونمط العمارة، وحتى العوامل الحضارية والتكنولوجية .لكن هل الشكل المعماري يتوقف عند الوظيفة الاجتماعية البيئية ؟ ألا يمكن أن يكون له أبعاد رمزية وثقافية ؟ سيما وأن العمارة هي الثقافة المادية للمجتمع، وإلا كيف نفسر تعدد الأشكال المعمارية رغم أنها يمكن أن تؤدي نفس الوظيفة بشكل واحد، مما يدل على أن للعمارة القصورية أبعاد رمزية وفنية ذات دلالة، هذا ما نتوقع الإجابة عنها من جهود باحثين مختصين-يعملون بصفة جماعية -من تخصصات عدة كالآثار والأنثروبولوجيا والعمران والهندسة المعمارية، حتى نوفي عمارتنا الصحراوية الطينية حقها من الدراسة والبحث، كونها تختزل هويتنا وثقافتنا المادية، بدل من أن نرثيها ونبكي على أطلالها، ويبقى لكل مجتهد مصاب.

التطور العمراني للقصر: من المعروف في القديم أن السكان كانو يشيدون مبانيهم في الأماكن التي كانت تكثر بها المياه ،وهو حال مدينة عين ماضي فالسبب الرئيسي في إنشاء القصر كانت العين الواقعة شمال المدينة ، فكانت تمثل المصدر الوحيد للمياه لسكان آنذاك .

واعتمادا على الروايات الشفوية72 فان القصر بني ما يقارب عشرة قرون ، على يد قبيلة البدو أولاد صالح وقبيلة التجاجنة ،ولكن معظم قبائل أولاد صالح لم يستقرو بالقصر ورحلو فيما بعد .

أنشأت مدينة عين ماضي بداية من **(القرن 11 / 17 م)**فوق ربوة من اجل توفير الحماية حالها حال معظم المدن العربية، وأول من بني كان منزل الإمام في قمة الربوة ثم بني المسجد العتيق بجانبه من الجهة الشرقية ،وبعدها بني صف مزدوج من المنازل (ما يقارب 12 منزلا)من الجهة الغربية وبداية من القرن **(17 م / 18)** بازدياد شهرة عين ماضي ازداد الوافدون إليها وازداد بناء وتشييد الدور والمنازل ، بحيث اتخذ التوسع الجهتين الشمالية والجنوبية وبذلك اكتسب القصر هيكلة عمرانية وقد تكون آنذاك من شوارع ثلاثة رئيسية وهي :

.الحاف (الشارع) القبلي (الجنوبي).

.الحاف الوسطاني (الأوسط)

71 D. MASTAPHA. **Les gubba-t des monts des ksours entre le temporales et le spirituels**, Mémoire de magister en architecture, Département. De l'architecture, Université des Sciences et de la tecnologie d'Oran, Thèse de magicter, p24.

72

.الحاف الظهراوي (الشمالي)

وما تزال هذه الهيكلة سارية المفعول إلى وقتنا الحالي ثم ارتفع عدد سكان عين ماضي بداية من القرن **18 و19** وقد واكبه زيادة في تطور وتوسع في العمران وهذا ما أدى إلى بناء مساكن جديدة 73، وبذلك تكونت الجزيرة المتواجدة بالجهة الشمالية للقصر، لأنه حسب الروايات الشفوية فان الطريق الذي يمتد حول هذه الجزيرة وباقي القصر هو حديث الانجاز بالنسبة للشوارع الأخرى . وبعد حملة الأمير عبد القادر **القرن 19 / 20** وبعد رجوع محمد الحبيب التيجانى إلي مدينته أعاد بناء الأسوار ، ومن ملاحظتنا للقصر وحسب الروايات الشفوية74 ، فانه تمت توسعة القصر من الناحية الجنوبية ، ودليل على ذلك تغير مكان الباب الكبير من مكانه من جانب منزل التجاني إلى مكانه الحالي بجانب مسجد الزاوية التجانية .

ثم بعد ذلك بقي الناس يسكنون أسوار قصر عين ماضي إلى غاية 1947، أين بدأو بالبناء خارج القصر وهذا يرجع لاكتضاض القصر بالمساكن وتحديد مساحته بواسطة الأسوار والحدائق من جهة ،وظهور التجمعات السكنية من جهة أخرى .

الهيكلة العمرانية للقصر: يتخذ القصر الصحراوي عادة مورفولوجية الشكل الهرمي حيث تحتل القارائة الراسية المركزية المسجد أو المصلى دلالة على القوة الروحية ثم ترسم حول هذا المركز شبكة عنكبوتية متماسكة تبدأ من الأعلى إلى الأسفل بالسكنات ثم السوق يليه الأسوار وتدخل المرافق المتواجدة خارج الأسوار كالحدائق والمقابر مع شبكاتها للسقي ضمن التشكيلة العامة للمرافق المشكلة لهذه التجمعات السكنية .

شكل القصر: لقصر عين ماضي شكل دائري ، يشتمل على دخلات ،أو كما عبر عنه كل من الجنرال دوماس و فرومنتان ومالتسان بأنه عبارة عن بيضة نعامة شقت طولا75 ، وهو ما فندته كل المراجع التي تناولته من ناحية الوصف .

ويمكننا أن نصنف القصر ضمن تصنيف عبد الرحمان أيوب والذي اعتمد في تصنيفه على المظهر الخارجي للمنشآت وتاريخها كذلك ويندرج قصر عين ماضي ضمن الصنف الدائري (الشكل) وتعود بداية ظهوره إلى القرن 15 هـ/ 11 م ويمثل هذا النمط حسب الدكتور أيوب صنفا متطورا عن الأصناف سابقة الذكر ، وذلك من حيث مساحة الخزن وتوزيعها ، ومن مميزاته انه يساعد في المحافظة على المخزون الفلاحي بطريقة أفضل ، كما يمكن من تطوير العمارة ذات الطابع المتعدد ، ولهذا الصنف تعود اغلب القصور الموجودة بالجنوب الجزائري ، مثل قصر تاجموت بالأغواط وقصر بني يزغن بغرداية والقصر القديم بورقلة وقصور منطقة واد ريغ وقصر متليلى وقصر منيعة76 .....

تعرض قصر عين ماضي إلى عدة عمليات إصلاح وإضافة أو هدم وتخريب ، ولكن هذه العمليات لم تؤثر على جوهره وطابعه ، بل مست بعض المنشات فقط ، ونستطيع ذكر

ما يلى : توسعة الجامع العتيق ، هدم جزء من السور وإضافة جزء آخر ، فتح باب أو شارع جديد ... ومن خلال ملاحظة المخطط الحالي للقصر والمخططات القديمة ، كمخطط ابن الكسكسه قائد مدفعية الأمير عبد القادر، أو مخطط الجنرال دوماس فإننا نجد أن الإضافات التي حدثت بالقصر أفقدته نوعا ما شكله الدائري .

التحصينات :أحيط قصر عين ماضي بأسوار ضخمة وقوية ،أتى على ذكرها مختلف الرحالة على رأسهم الرحالة الألماني مالتسان

السيد احمد شنقيطى من سكان القصر واحد اعضاء الجمعية حماية التراث والبيئة بعين ماضى .73

74 السيد عبد القادر من سكان القصر القدامى .

75 هاينريش مالتسان ، ثلاث سنوات في شمال غربي افريقيا ، تر ، ابو العيد دودو ، ج 3 ، انظر كذلك

Eugéne Fromentin, Un Eté Dans le Sahara, et une année dans le sahel. Eddition illustrée. Paris – Méditerranée, 2004.p. 208

وانظر كذلك :

L.C.DAUMAS, Le Sahara algérien, , Rue Bab-Azoun Alger, Paris, 1845. p287.

76 حول قصر المنيعة انظر :

Gal.A.Moinier , El-Goléa , Le ksar el Harratin , Rev.afr , n°50,1906,p.361

بحيث قال " كانت عين ماضي أحسن حصن في الجزائر كلها ، على الأقل أحسن حصن بناه العرب "77.

كان سبب تأسيس هذه الأسوار الحملات العسكرية المتواصلة التي عرفتها مدينة عين ماضي ، ففي سنة 1783 هدم باي وهران محمد الكبير أسوار القصر أثناء حملته العسكرية على عين ماضي ، أين انسحب الشيخ احمد التيجاني إلى مدينة فاس بالمغرب وبعد ذالك بعث احد إخوان الطريقة التيجانية " المهندس محمود التونسي "في سنة 1790 م إلى عين ماضي من اجل تقوية أصوار القصر بحيث بنى جدران صلبة ارتفاعها 12 م وسمكها 2 م، مبنية من الحجارة المصقولة ، ودعم الجوانب وزود الأسوار بعدة مزاغل من اجل الدفاع .

وبنيت هذه الأسوار مكان الأسوار القديمة المهدمة والتي كانت مبنية على الطوب المجفف في الشمس78.

كان لهذه الأسوار شكلا دائريا وكانت تتكون من :

.أسوار الحدائق متكونة من الطوب ،وتتخللها أبراج وتبعد 300 م عن أسوار المدينة .

.أسوار المدينة وهي فائقة الصلابة ، مبنية بشكل جيد تحتوى على فتحات .

.الأسوار الداخلية للقصر محاطة من الخارج بأسوار أخرى موازية لها والتي تشكل الحدود الداخلية للحدائق، مما يخلق ممر ضيقا بينها وبين أسوار القصر79 .

يحتوى قصر عين ماضي حاليا على أربعة أبواب كلها كانت تغلق في المساء صورة وهي :

.**الباب الكبير:** يقع حاليا بالجهة الجنوبية للقصر شيد في وقت الشيخ محمد لحبيب التجاني، بحيث يعتبر المدخل الرئيسي للقصر به عدة فتح في السور يكتنفه برجان شاهقان .

.**باب الساقية :** فتح من الجهة الغربية وسمي بهذا الاسم نتيجة فتحه بجانب الساقية التى توصل الماء الى الحدائق ، وسبب فتحه هو تسهيل على سكان القصر الوصول الى حدائقهم التى تقع بالجهة الغربية .

.**الباب الشرقي :** كما فتح باب ثالث في سنوات الأربعينيات من القرن العشرين بعدما ساد الأمن وانتهت الحروب ، وكان سبب فتحه تسهيل على السكان الوصول إلى بساتينهم من الجهة الشمالية بدل الخروج من الباب الكبير ، بحيث كان عبارة عن فتح من جهة السور .

.**الباب السري :** فتح في الجهة الشمالية الشرقية من القصر وهو عبارة عن مدخل منكسر ، يستعمل لمساعدة الحاكم الهروب في حالة ما إذا ضاقت السبل .

الشوارع :

الشوارع الرئيسية : تسمى الحاف أو الدرب وهي ما أطلق عليها الفقهاء "الطريقة السابلة " ، " طريق المسلمين " ، " الطريق العامة " ،أو الطريق الرئيسية 80، وإذا رجعنا إلى التطور العمراني للقصر نجد أن قصر عين ماضي يتكون من أربعة شوارع رئيسية متوازية نافذة يبلغ متوسط عرضها حوالي ثلاثة أمتار ، تميزت هذه الشوارع بالالتواء والتعرج وعدم وجود زوايا قائمة بها ، والسبب في ذلك يكمن في التخفيف من حدة الشمس واستغلال الظل اكبر قدر ممكن وتكسير التيارات الهوائية والرياح العنيفة التي غالبا ما تتعرض لها المناطق الجنوبية ، علامة عما توفره من ميزة سيكولوجية لسائر بها فهي توحي بقصر المسافة التي يقطعها ، كما اعتبرت الشوارع الرئيسية الأصل الذي تتفرع منه وتصب فيه جميع الشوارع الثانوية ، فقد روعي التدرج في الشوارع حسب الأهمية وتدفق الحركة . وتعد الشوارع الرئيسية من العناصر الأساسية للقصر ووسيلة اتصال بين داخله وخارجه، فهي تقوم بربطه ممن المناطق المجاورة

77 مالتسان ، المرجع السابق ، ص 253 .

78 C.Trumelet, opcit, pp.98

79 M.Emerit, opcit, p 217

80 عثمان عبد الستار ، المرجع السابق ، ص 179 .

له كالبساتين والمقبرة ، ويتم عبرها أيضا الاتصال بالوحدات الرئيسة للقصر كالمداخل والرحبات والسوق ومركز القصر الذي يشغله الجامع العتيق تتقدمه ساحة فسيحة لامتصاص كثافة المصليين .

لاحظنا ظاهرة في الشوارع الرئيسية لعين ماضي وهي عدم وجود زوايا قائمة في حواف جدران هذه الشوارع ، وحسب الروايات الشفوية فان هذه التقنية ، تستعمل من اجل تسهيل مرور الدواب المصحوبة بعربات دون اصطدامها بحواف الجدران

الأزقة : تعتبر الأزقة في القصر اقل عمومية من الشوارع الرئيسية فهي تعتبر مكانا خاصا لأفراد العائلات القاطنين بها حيث تفتح بها أبواب المساكن ،وهي تنقسم إلى نوعيين من حيث التخطيط إلى أزقة غير نافذة وأزقة نافذة ، وهذه الأخيرة تنقسم إلى أزقة مسقفة والتي يبلغ عددها أربعة ويبلغ متوسط عرضها 1.20 م ، وأزقة غير مسقفة والتي يبلغ عددها اثنين ويبلغ متوسط عرضا 2 م ، للأزقة دور في ربط الشوارع الرئيسية ببعضها البعض ، وتكون في بعض الأحيان مسقفة بواسطة خشب العرعار والقصب وذلك حتى تتمكن البيوت المفتوحة من استقلال الظل وكذا المارة بها ، وهنا لاحضنا ظاهرة غريبة وهو استعمال نوعين من التسقيف بزقاق واحد ، بحيث يستعملون القصب ونبات العرعار في الأماكن العالية من السقف ، أما الأماكن المنخفضة فيستعملون بها الحجارة المسطحة وخشب العرعار وحسب الروايات الشفوية ، فان هذه الظاهرة استعملها سكان القصر من اجل تجنب اشتعال القصب في الأماكن المنخفضة لسقف من الشعلة التي تستعمل ليلا من اجل الإنارة في الأزقة المسقفة .

الشوارع والأزقة	العرض الأدنى	العرض الأقصى
الحاف الوسطاني	2.26	3,67 م
الحاف الظهراوي	1.40	2,79 م
الحاف القبلي	2.26	3,50 م
الشارع التجاري	3.25	4,00 م
الأزقة غير المسقفة	1.73	2.34 م
الأزقة المسقفة	1.10	1.30 م

الرحبات : هي عبارة عن فضاءات تكون امتدادا لشوارع أو تتوسطها ، ولكن عرضها عن عرض الشوارع بحيث يكون أكثر اتساعا مابين 5 م و6 م يحتوى القصر على ثلاثة رحبات :

الرحبة الأولى وتعتبر رحبة رئيسية لوجودها بالمدخل الرئيسي (الباب الكبير)، وتتميز باتساعها ، بحيث كانت تستعمل في القديم كسوق أين يأتي الناس من خارج القصر فوق دوابهم وبعيرهم من اجل عمليتي البيع والشراء ، ولكن هذه الرحبة خضعت إلى عدة تغيرات غيرت من مساحتها بعد أن انشأ بها عدة مستودعات تستعمل لتخزين المواد الغذائية خاصتا الحبوب.

الرحبة الثانية متواجدة بجانب المسجد العتيق وتعتبر امتداد للحاف الوسطاني ، تستعمل هذه الرحبة كمكان لتجمع المصليين

خاصتا أيام الجمعة ، أيام العيد وأيام رمضان بحيث تعتبر مكان ذو خاصية اجتماعية

الرحبة الثالثة توجد وسط الشارع التجاري أين توجد عدة محلات تجارية ومرافق أخرى كما نجد الزريبة يستعملها الناس لوضع دوابهم بها أثناء قيامهم بمهامهم داخل القصر

الأحياء والدور : يتكون القصر من الداخل من مجموعات سكنية موزعة على كل مساحات القصر ، وبنيت أحياء القصر بطريقة متماسكة ومتراصة فيما بينها توحي لناظر من بعيد وكأنها كتلة واحدة ، ولقد روعي في بناء سكناتها ما يتطلبه الدين الإسلامي الحنيف من المحافظة والالتزام والحشمة وعدم الإلحاق الضرر بالجار

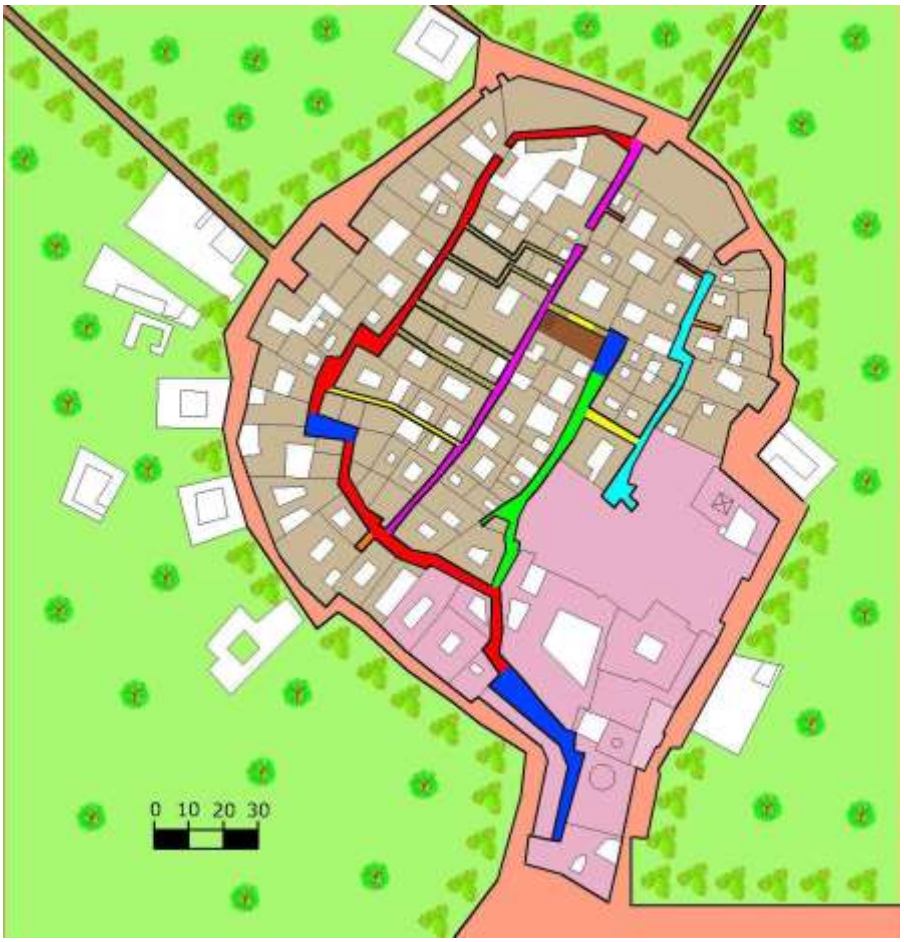

ورغم تكتل بيوتها وتراصها .

المرافق العامة : تنتشر معظم المرافق العامة على طول الشارع التجاري ، بحيث تستغل فضاءات الطبقة السفلة من المنازل والتي تطل على الشارع كمرافق عامة يستعملها أصحاب المنزل أو تؤجر لأشخاص أخرين ، ونذكر من هذه المرافق ، المحلات التجارية (بيع المواد الغذائية ، الملابس التقليدية)

خلاصة :

لا يختلف قصر عين ماضي كثيرا من حيث تصميمه العمراني عن باقي القصور الصحراوية الأخرى ، فله نفس المميزات العمرانية من حيث تراص المباني وضيق الشوارع وتعرجها وكل المظاهر العمرانية التي تعبر عن الاحترام ، والتقدير بين السكان والتي تفرضها علينا تعاليم ديننا الحنيف .

فالعمارة بعين ماضي هي ليست العامل المكاني فقط بل هي نتاج البعد الزمني، وما يدخل ضمنه من عوامل سياسية واقتصادية كوجود الأمن من عدمه وشكل الأسرة وطبيعة البناء الاجتماعي والنظرة المتعلقة للمرأة والغرباء ونظرت ذلك المجتمع لعالم الغيب والأرواح كلها لها دور أساسي في تحديد شكل ونمط العمارة، وحتى العوامل الحضارية والتكنولوجية لها أثرها الواضح في قصر عين ماضي .

وفي نفس الوقت اكتسب قصر عين ماضي ملامحه الخاصة خلال فترة تعميره، فتأسيس الزاوية التجانية أعطاه بعد آخر ، بحيث أصبح ملاذا ومقصدا لكل أتباع هذه الطريقة في العالم، بالإضافة إلى القيمة الروحية والدينية التي اكتسبها ،فهو يعتبر إرثا معماريا ذو أهمية تاريخية وثقافية و يجدر بنا المحافظة على هذا النوع من التراث كشواهد لتاريخ المنطقة وكشواهد لقدرة الإنسان التكيف مع محيطه الطبيعي .

المراجع باللغة العربية :

1 . المنجد في اللغة والإعلام ، الطبعة الحادية والعشرين ، دار المشرق بيروت 1986

2 . القران الكريم.

3 . ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة ،www.ar.wikipedia.org

4 . حملاوى على ، نماذج من القصور منطقة الأغواط ،دراسة تاريخية وأثرية ،طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية ، الجزائر ، 2006

5 . عثمان عبد الستار ، المدينة الإسلامية ،دار الآفاق العربية للنشر ،الطبعة الأولى ،1999 .

6 . فجال خالد سليم ، العمارة والبيئة فى المناطق الصحراوية ،الدار الثقافية للنشر ،مصر ، 2002.

7 . محمد بن عبد القادر الجزائري ، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر ، بيروت ، بدون سنة .

8 . الدرعي ، الرحلة ، مخطوط بالمكتبة الوطنية ، رقم 1954 .

9. نظير أبو عبيد، **المشهد المكاني كمفهوم وسلوك بيئي في تحليل التواصل ما بين العمارة والمجتمع**، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 248 ، لبنان، 1999 .

10. حسين عبد الحميد احمد رشوان، **المدينة دراسة في علم الاجتماع الحضري**، المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية، الطبعة السادسة ،1998 .

11. بوعلالة جلول، **قصر تمنطيط دراسة أثرية ومعمارية** ، مذكرة تخرج لنيل شهادة مهندس دولة في العمارة، قسم العمارة والآثار، الجزائر، سنة2005 .

12. حسني عبد الحفيظ، **تخطيط المدن وعماراتها في الحضارة الإسلامية**، المدينة العربية، العدد . 113 مارس، أبريل 2003 .

13. محمد بن أمبارك الطيب، **القول البسيط في أخبار تمنطيط**) مخطوط(، تحقيق فرج محمود فرج).

14. المختار الهراس وإدريس بن سعيد، **التحولات الاجتماعية بالبوادي المغربية**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة ندوات ومناظرات رقم2 الطبعة الأولى، 2002 .

15. السيد احمد شنقيطى من سكان القصر واحد اعضاء الجمعية حماية التراث والبيئة بعين ماضى .

16. السيد عبد القادر من سكان القدماء للقصر

17. هاينريش مالتسان ، ثلاث سنوات فى شمال غربي افريقيا ، تر ، ابو العيد دودو ، ج 3 ،

المراجع باللغة الأجنبية :

1.AIT EL HADJ (A), Kasbahs et ksours: Un Patrimoine En Ruine, Revue Bimestrielle, Janvier-Fevrier 2006,

2. Aba SADKI, Urbaniste-Environnementaliste, Urbanisme Et Dégradation De l'Habitat Traditionnel Des Oasis Du Sud-Est Marocain, Magazine d'Architecture en Ligne, www.Achi-Mag.com, 2009.

3 . Cnt.H.Bissuel, Le Sahara français , conférence sur les questions sahariennes faite le 21 et 31 Mars1891, Alger Adolphe Jourdan,1891.

4. G.Marçais, La conception des villes dans l'Islam, Revue d'Alger, t2, Alger 1945.

5. P.D.A.U (Plan Directeur d'Amenagement et d'Urbanisme), p 6.

6. P.D.A.U (Plan Directeur d'Amenagement et d'Urbanisme).

7. L.Ville, " Notice sur les recherches d'eau potable dans le sud de la province d'Alger ", Rev.afr, n°3, 1858-1859.

8 C.Trumelet, Histoire De l'Insurrection Dans Le Sud, Alger,1861.

9. NADIR MAROUF، **l'imaginaire historiographique entre conjectures et realites** ، ou le probleme des sources , à proposde l'établissement humain en milieu saharien. Insaniyat, revue algéd'anthropologie et de sciences sociales N°2 AUTOMNE -1997.

10. D. MASTAPHA. **Les gubba-t des monts des ksours entre le temporales et le spirituels**, Mémoire de magister en architecture, Département. De l'architecture, Université des Sciences et de la tecnologie d'Oran, Thèse de magicter.

.

Eugéne Fromentin, Un Eté Dans le Sahara, et une année dans le sahel. Eddition illustrée. Paris – Méditerranée, 2004.p. 208

11. **L.C.DAUMAS**, Le Sahara algérien, , Rue Bab-Azoun Alger, Paris, 1845.

Gal.A.Moinier , El-Goléa , Le ksar el Harratin , Rev.afr , n°50,1906.